Issn:2572-0023

الشيخ ابراهيم أبو اليقظان ومواجهة السياسة الفرنسية في الجزائر (1926-1938)

أ/خيري الرزقي

أستاذ مشارك بجامعة محمد بوضياف-المسيلة-

الملخص بالعربية :

تدور محاور المقال حول شخصية الشيخ ابراهيم أبو اليقظان من حيث النشأة والتعليم والنشاط الإصلاحي، أما من حيث حياته الصحفية فقد تطرق المقال الى الجانب الصحفي عنده بصفة عامة ومساره في ذلك، وأسلوبه المتبع في الكتابة والذي شكّل خصائص صحفية له دون غيره من الناحية الفنية كالطريقة الخطابية، والأسلوب التهكمي،والرمزي، إضافة الى ذكر بعض الخصائص النفسية كالصراحة والحماسة، وصفة التفصيل والتحليل وغيرها. كما تطرق المقال الى قضية انشاء أبي اليقظان للمطبعة العربية والدوافع التي أدت الى ذلك سواء المادية منها أو المعنوية وموقف السلطات الاستعمارية منها، وفي الأخير بعض الشهادات التي قيلت في أبي اليقظان.

الملخص الفرنسية :

Les stations de l'article tourne autour du personnage de Cheikh Ibrahim Abu liakdhan en termes d'éducation, la réforme de l'activité et la mort, mais en termes de son article journalistique a touché sur le côté de la presse avec lui en général et sa trajectoire, et son style suivi dans l'écriture, qui est la forme de propriétés de presse sans son autre technique rhétorique, style cynique et symbolique, en plus de mentionner certaines caractéristiques psychologiques comme l'enthousiasme et la franchise, et capacité d'analyse, Description et d'autres.

L'article a également abordé la question de la mise en place d'AbuAliakdhan de la presse arabe et les motifs qui ont conduit à, à la fois dont l'attitude physique ou morale des autorités coloniales d'entre eux, et finalement, les témoignages qui ont été dites à Abu Aliakdhan.

مقدمة :

عرف الشيخ أبو اليقضان طوال حياته بجهادة المستميت ضد السياسة الفرنسية التعسفية، ولم يمنعه مرض الشلل الذي أصابه في أواخر حياته من العطاء والكفاح ضد السياسة الفرنسية في الجزائر خصوصا والوطن العربي عموما، بل زاده إرادة وقوة في الكتابة والتأليف بعد العمل الصحفي الذي لازمه مدة ليست بالقصيرة من خلال نشاطه الصحفي وصحافته ذات التوجه الإصلاحي التي باركها الشيخ عبد الحميد بن باديس، والتي وصلت في مجملها إلى ثمانية جرائد باللسان العربي والمعتمدة على التمويل الذاتي لا غير، تلكم هي شخصية الشيخ إبراهيم أبو اليقظان، فمن تكون؟ وما هي أهم محطات حياتها؟ وفيما يتلخص الجانب الصحفي فيها؟

– شخصية أبي اليقظان:

أ– النشأة: هو حمدي إبراهيم بن عيسى، ولد يوم الاثنين 24 صفر 1306هـ الموافق لـ 05 نوفمبر 1888 بالقرارة[1]لقب نفسه بأبي اليقظان نسبة إلى الإمام الرستمي الخامس أبي اليقظان بن أفلح بن عبد الرحمان بن رستم، والده هو الحاج عيسى بن يحي، عرف بالورع وشدة التمسك بالدين والصرامة، كان عضوا عاملا في مجلسي العزابة[2]والدته السيدة عائشة بنت الحاج أمحمد بن الحاج إبراهيم بوعروة من عشيرة أولاد حمو بن إبراهيم المشهورة في القرارة[3].

نشأ في عائلة فقيرة جدا خاصة بعد وفاة والده –كان عمره سنة واحدة– أين تولت أمه رعايته وتربيته مع إخوته، وتحدى أبو اليقظان هذه الصعوبة وثابر على تحصيل العلم والمعرفة فالتحق في سن متأخرة بالكتاب –بعد ثمانية سنوات– وتمكن من إتقان الكتابة والقراءة، وحفظ القرآن الكريم على يد الحاج إبراهيم بوسحابة واستظهره كله على يد الإمام الشيخ إبراهيم بن كاسي سنة 1905 ثم انتقل إلى معهد الحاج عمر بن يحي فأخذ عنه مبادئ الفقه والأخلاق والتوحيد[4].

1 – تأسست مدينة القرارة في أوساط القرن 11 هـ، تقع في الجهة الشمالية الشرقية لمدينة غرداية، تبعد بحوالي 120 كلم، للمزيد ينظر: أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1931، ص 227.

2 – مجلس العزابة: العزابة نظام نمط اجتماعي ركيزته مراعاة الدين والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ينظر: إبراهيم محمد الطلاي: **ميزاب بلد كفاح**، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1970، ص 39 وما يليها، وأيضا: محمد ناصر: حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، جمعية التراث القرارة، الجزائر، 1989، ص 12.

3 – زكية منزل عزابة :<< الفكر الإصلاحي عند الشيخ أبي اليقظان>>، رسالة ماجستير, جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ,2001.

4 – حمد الهادي السنوسي: **شعراء الجزائر في العصر الحديث**، ج1، مكتبة العرب، تونس، ط1، 1926، ص 110.

ولقد كنى نفسه بأبي اليقظان لشدة إعجابه بالإمام الرستمي، وحاول تتبع نهجه وأثره في حياته[1] لذلك اشتهر بهذا الاسم[2].

ب– تعليمـــه:

تتلمذ الشيخ إبراهيم أبو اليقظان على أيدي العديد من المشايخ والأئمة في جميع مراحل تعلمه منهم الحاج علي بن حمو، الحاج إبراهيم بن صالح، ملالي صالح بن كاسي، الحاج إسماعيل زرقون، عبد الرحمان بن عمر الفرضي[3].

كما درس على يد الشيخ "أطفيش" في بني يزقن، وسافر إلى البيت الحرام سنة 1909 أين تلقى الدروس الدينية عن مشايخ الحرم، وفي هذه الرحلة زار طرابلس وبيروت، دمشق ومصر وأزمير[4] وحاول أثناء تواجده بمصر الالتحاق بالأزهر لكن الظروف المادية حالت دون ذلك، ثم رجع إلى بلدة بني يزقن، وواصل تعلمه عند الشيخ محمد أطفيش حتى سنة 1911 أين رجع إلى بلدته القرارة، سافر إلى تونس والتحق وتعلم بجامع الزيتونة سنة 1912 ومكث هناك لأسباب صحية وتعليمية بين ذهاب وإياب إلى غاية سنة 1926.

يقول أبو اليقظان عن معهد الحاج عمر بن يحي الذي أثر في تكوين شخصيته "فتطورت تطورا كبيرا، فازداد نشاطي في حفظ القرآن وشدة حبي للعلم، وتفاءلتخيرا، وأيقنت ببلوغ غايتي في العلم ما دمت في هذا المعهد"[5].

ونظرا لما لمسه فيه الحاج عمر بن يحي من تفوق ورغبة في العلم قربه إليه واهتم به، وحفظ أبو اليقظان أثناء وجوده معه متن الأجرومية وشرحها لابن داود، ومتن عقيدة العزابة وشرحها، ومتن الدرر اللوامع والأربعين النووية، وألفية بن مالك، ومتن القطر في النحو، والجوهر المكنون في البلاغة.

وغيرها من المتون مما يدل على أن الشيخ أبي اليقظان ذا أفق واسع في مختلف العلوم والثقافة[6].

كما تتلمذ الشيخ أبي اليقظان على يد الشيخ الطاهر بن عاشور، محمد بن يوسف، الطاهر بن صالح الشيخ النخلي، الصادق النيفر، عبد العزيز جعيط وكلهم في جامع الزيتونة، وفي المدرسة الخلدونية تتلمذ على يد مدرسين

1 – جمعية التراث: **معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب) منذ القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر**، ج4، المطبعة العربية غرداية، ط1، الجزائر، ص 752.

2 – ابن الصغير: **أخبار الأئمة الرستميين**، تحقيق محمد ناصر، إبراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986، ص 77.

3 – أحمد محمد فرصوص: **الشيخ أبو اليقظان كما عرفته**، دار البعث قسنطينة، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 31.30.

4– تركت زيارته إلى بلدان المشرق العربي أثرا في نفسه لذلك كانت هذه الدول المشرقية محل اهتمام في صحافته منها جريدة الأمة، للاطلاع عن هذه الرحلة وإلى مصر خصوصا ينظر: محمد علي دبوز: **أعلام الإصلاح في الجزائر**، ج2، مطبعة البعث، قسنطينة والجزائر، 1976، ص 248 وما يليها.

5 – نفسه، ص 265.

6 – أحمد محمد فرصوص: المصدر السابق، ص 18.

منهم محمد الأشرم، حسن حسني عبد الوهاب، محمدالعبيدي، ودرس أيضا على يد الزعيم العربي عبد العزيز الثعالبي في سياسة الدول وفلسفة حياة العصر الجديدة...الخ[1].

وبرزت شخصية أبي اليقظان كرجل علم وأدب وشعر في تونس بشكل كبير إلى أن تعدى الأمر إلى النشاط السياسي حيث نشط الروابط الثقافية بين البلدين وخاصة بعد انطلاق أول بعثة علمية من بني ميزاب في اتجاه جامع الزيتونة[2].

ولقد ضمت هذه البعثة عددا من الشعراء والسياسيين والكتاب فقد كان من بينهم إبراهيم أبو اليقظان إلى جانب شخصيات أخرى مثل محمد علي دبوز، حمود بن سليمان رمضان، مفديزكريا، عبد العزيز الثميني ...الخ[3].

ج– نشاطه الإصلاحي :

إن شخصية الشيخ إبراهيم أبو اليقظان متعددة الجوانب والمواهب، وتدور أساسا حول الحركة الإصلاحية وخاصة في منطقة وادي ميزاب والتي ساهمت بشكل فعال في الحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية ومقوماتها، فقد برز كرجل إصلاح في صحافته، وفيأفكاره، وفي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أيضا، وتعدى فكره الإصلاحي حتى إلى دول الجوار مثل تونس.

كما ترأس أول بعثة علمية إلى تونس بعد غلق المدرسة الصديقية بتبسة[4]وعاد إلى مدينة القرارة وفتح مدرسة بها سنة 1914 لكن سرعان ما أغلقت لأسباب قاهرة، وفي السنة نفسها أنشأ نادي أدبي لتدريب التلاميذ على الخطابة والشعر والإنشاد[5]وعاد الى تونس سنة 1916 في بعثة علمية أخرى أين تعرف على عبد العزيز الثعالبي

الذي ساهم احتكاكه معه في الانخراط في الحزب الدستوري التونسي[6]ثم عاد إلى الجزائر سنة 1926 أين قرر إنشاء صحافة عربية إسلامية إصلاحية مهمتها الأولى الإصلاح والدفاع عن حقوق الشعب وصلت إلى ثمانية جرائد.

---

1 – الزبير سيف الإسلام: **تاريخ الصحافة في الجزائر**، ج6، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر 1985، ص 149.

2 – عبد الله بن محمد الكاملي: **أبو إسحاق إبراهيم أطفيش**، مطبعة الشهاب، قسنطينة، 1966، ص 33.

3– محمد الصالحالجابري: **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900** , 1962,الدار العربية للكتاب 1983 ,ص 38.

4 – المدرسة الصديقية بتبسة أسسها عباس بن حمانة سنة 1913,للاطلاع أكثر عليها ودورها ينظر : محمد علي دبوز : نهضة الجزائر الحديثة وثروتها المباركة,ج2 ,المطبعة العربية ,ط1 ,الجزائر 1971 ,ص 264.وكذلك : محمد ناصر : القيم الإسلامية في نظام التعليم بوادي ميزاب ,مجلة الحياة ,العدد 1 جانفي 1988 ,القرارة ,غرداية ,ص 73.

5 – للاطلاع على الجانب الشعري لأبي اليقظان ينظر : أبو اليقظان : **الديوان**,ج1+2 ,نشر جمعية التراث ,ط1,العطف,غرداية الجزائر ,1989 وأيضا: فضيلة ركبة : <<التشكيل الفني في شعر إبراهيم أبي اليقظان>>,رسالة ماجستير,جامعة منتوري ,قسنطينة.

6– ساهم وانخرط أبو اليقظان في الحزب الحر الدستوري التونسي منذ تأسيسه سنة 1920 إلى جانب شخصيات جزائرية أخرى سواء بالمولد أو الجنسية منهم : أطفيش ,صالح بن يحي ,توفيق المدني ,عبد الرحمان اليعلاوي ...الخ ,ينظر : محمد الصالح الجابري: المرجع السابق,ص 265 .

انضم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان عضوا في إداراتها خلفا للشيخ إبراهيم بن عمر بيوض وفي سنة 1934 شغل منصب نائب أمين المال واستمر يدافع عنها وعن أهدافها الإصلاحية، وهذا ما برز بشكل كبير في جريدته "الأمة" أين نشر وتتبع جميع حركاتها، كما دافع عنها في جرائدها مثل الشهاب والبصائر واستمر هذا الموقف إلى غاية سنة 1936.

يقول أبو اليقظان عن جمعية العلماء "...لم تمض على إنشائها مدة وجيزة حتى ضربت موجة الإصلاح بها من أقصى البلاد إلى أقصاها، ثم تسامع الناس أخبارها فكان لها دوي هائل في غرب والشرق، وكان لها صوت مسموع في أقطار الإسلام ...تلك هي حقيقة جمعية العلماء وتلك غايتها في وضح من النهار ظاهرها باطنها وباطنها ظاهرها لا خفاء فيها ولا لبس"[1]

وقد كتب أبو اليقظان هذا المقال الذي فصل العديد من القضايا منها الإفصاح عن أهداف ومبادئ جمعية العلماء وصداها داخل الوطن وخارجه، وهذا الكلام صادر عن نائب أمين المال فيها حيث كان الشيخ بيوض يشغل المنصب قبله ومبارك الميلي هو أمين المال[2].

وهذا ما يزيد في شخصيته الإصلاحية والتي لم تقتصر على الجانب الديني فقط، فقد كان الشيخ أبي اليقظان يهدف إلى إصلاح الأجيال والأفكار والعقيدة وتطهير الدين من الخرافات والعودة به إلى منابعه الصحيحة، كما اهتم أيضا بالإصلاح الاقتصادي أين ركز في صحفه على الزراعة والصناعة والتجارة وطرق تطويرها، واهتم بجانب الثروات مثل البترول والمعادن الأخرى، أي أن فكرة الإصلاح عند لشيخ أبي اليقظان فكرة شاملة تدور حول الفرد أولا ومحيطه ثانيا.

ولقد ركز في صحافته على الجانب الإصلاحي أين كان له أسلوب خاص في مجال الدعوة والإصلاح ووسائل معالجتها، وهذا بفضل جرائده المتعددة التي جعلته خادما للدعوة، وعلق هو نفسه على موقف المشارقة من هذه الجرائد بقوله :"...ومن أجل هذا كانت فصول أغلب صحفنا اجتماعية أكثر منها سياسية حتى ضج بعض إخواننا منها في الشرق وقالوا : إن فصول صحف أبي اليقظان هي أليق بعرصات المسجد منها بأعمدة الصحف"[3].

وللاطلاع والتوسع في الحزب الدستوري التونسي يراجع : يوسف مناصرية :<< الحزب الحر الدستوري التونسي 1919 -1934>>,رسالة ماجستير جامعة الجزائر 1986.

1 – أبو اليقظان : **موجه الإصلاح الديني والعلمي بالقطر الجزائري**,جريدة البصائر ,العدد 1,(1935/12/27),ا لسنة 1 ,ص 06.

2 – محمد خير الدين : **مذكرات الشيخ محمد خير الدين**,ج1 ,مطبعة دحلب ,الجزائر ,1985 , ص 108–109.

3 – حسين يوسف :أسلوب الدعوة ووسائلها عند الشيخ أبي اليقظان ,مجلة الموافقات ,العدد 05 ,السنة 5 ,1996 , ص 416 ,432.

هذا ناهيك عن دوره في الحركة الإصلاحية بالجنوب الجزائري عموما ومنطقة وادي ميزاب خصوصا حيث انظم سنة 1936 إلى حلقة العزابة بالقرارة واستمر في نشاطه الإصلاحي إلى سنة 1957 أين أصيب بالشلل النصفي فتفرغ إلى الكتابة والتأليف[1] في جميع المجالات.

هـ– وفاته :

كان ذلك يوم الجمعة 25 صفر 1393هـ الموافق لـ30 مارس 1973 عن عمر بلغ 85 سنة[2] وترك أبو اليقظان ثمانية صحف وإنتاج كبير من الكتب المتنوعة والرسائل قلة منها مطبوع والباقي مازال مخطوط.

2– الصحفي أبو اليقظان :

من الجوانب البارزة والمشهورة عن الشيخ إبراهيم أبو اليقظان هو الجانب الصحفي فيه، حيث عُدَّ أحد أعمدة الصحافة العربية الإصلاحية بالجزائر، من خلال إصداره ثمانية صحف كاملة تمثل سلسلة واحدة فعند تعطيل جريدة له تظهر الأخرى مباشرة وكأنها استمرار لما قبلها، وهذا ما يدل على وحدة التوجه الصحفي عند أبي اليقظان.

أ– لمحة عامة عن الجانب الصحفي عند أبي اليقظان :

ظهرت صحافة الشيخ إبراهيم أبو اليقظان في جو صعب جدا على الصحافة العربية في الجزائر، أين كانت يوميا تخضع للمراقبة والمصادرة من قبل إدارة الاحتلال الفرنسي ,وهو الشيء نفسه الذي طال صحافة أبي اليقظان، لكن صاحبها كان دوما وكأنه حضّر لصحيفة أخرى لتخلف التي في الميدان "وفي هذا الجو المكهرب المسموم كان أبو اليقظان يصارع الأحداث ويتحدى "ميرانط"[3] وما إن تستشهد صحيفة من صحفه تتلقف الراية باليمين جريدة جديدة تحت اسم جديد.."[4].

وتكبدت صحافة أبي اليقظان صعوبات عامة في عملية طبعها قبل إنشاء المطبعة العربية، فكانت معظم أعداد جرائده يتم بالمطبعة التونسية ومنه انتقلت إلى المطبعة الأهلية، وكان موقف السلطات الفرنسية بالجزائر أن احتجت وطلبت من حكومة تونس عدم السماح بطبع صحف أبي اليقظان إلا في حالة الترخيص بذلك القادمة من الجزائر.

1– برع الشيخ إبراهيم أبو اليقظان في مجال الكتابة والتأليف والشعر والنشر براعته في مجال الصحافة وأصبح يبدو وكأنه أديبا وليس صحفيا . للاطلاع على الجانب النثري له ينظر : محمد زغينة :<< أبو اليقظان ونثره>>,رسالة دكتوراه دولة ,جامعة باتنة 1998.

2 – يؤرخ صالح خرفي لوفاته بـ31 مارس 1973 ,ينظر : صالح خرفي : أبو اليقظان في الخالدين,مجلة الثقافة ,العدد 14,السنة 3 ,أفريل – ماي 1973 ,ص10.

3– رئيس مكتب الشؤون الأهلية العامة بالجزائر.

4 – مفدي زكريا : **تاريخ الصحافة في الجزائر**,جمع وتحقيق أحمد حمدي ,مؤسسة مفدي زكريا ,دار هومة ,الجزائر ,2003 ,ص 166.

حينها اضطر أبي اليقظان إلى طبع جرائده بمطبعة "المغرب" التي كانت في الأصل ملكا لابن عليوة بالجزائر العاصمة ويديرها الأخضر عمروش[1]وهذا التنقل في عملية الطبع كان ناتجا عن المطاردة الاستعمارية لصحف أبي اليقظان التي كانت تنظر إليها على أنها تسير في عكس سياسة فرنسا في الجزائر التي كان قانونها في تلك الظروف لا يفرض على صاحب الجريدة إصدار رخصة خاصة ,بل كان كافيا عن طريق التصريح وهذا ما يسهل عملية المصادرة[2]وقد أقلقت صحافة أبي اليقظان السلطات الفرنسية بسبب معالجتها لبعض الموضوعات الحساسة في الجزائر أو السياسة الدولية العامة، فقد كانت تعالج المشاكل الجزائرية المحلية على اختلاف أنواعها إلى جانب التطرق إلى القضايا العربية والإسلامية، كما كانت دوما تهتم بتطور مسار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى آخر عدد مصادر منها سنة 1938 "وتساعدها في معركتها الإصلاحية العتيدة ,لأن الشيخ أبو اليقظان من أبرز أعضاء الجمعية منذ فجر تأسيسها"[3].

كما امتازت جرائد أبي اليقظان عامة بالطابع الوطني الصريح وهو سبب تعرضها للمصادرة بعد فترة وجيزة من الإصدار، كما ساهمت في معالجة الميدان الاجتماعي والتربوي والأخلاقي بمجهودات موفقة.

وهذه الإجراءات الفرنسية مست جميع جرائد أبي اليقظان، على غرار جريدة الأمة التي تمت مصادرتها بعد نشرها لمقالات مؤيدة وداعية لحزب الشعب الجزائري، فكانت هذه الصحافة اليقظانية سندا قويا مباشرا أو غير مباشر للحركة الوطنية الجزائرية خاصة ما بين 1930-1937 كما كانت المطبعة العربية التي أسسها بنفسه تتعرض للمضايقات وعمليات التفتيش المتواصلة بسبب طبع مناشير وجرائد حزب الشعب.

كانت الصحافة اليقظانية ذات اهتمام بالغ بالقضايا العربية العامة ومجالا فسيحا نشرت فيه القصائد الجزائرية عن ما كان يجري من أحداث في المشرق العربي كتبها من أمثال: "محمد السعيد الزاهري، محمد العيد آل خليفة، رمضان محمود، الهادي السنوسي ,بكير بن الحاج سليمان ,عبد الرحمان البكري ,مفدي زكريا..."[4].

لذلك حققت صحافة أبي اليقظان سمعة طيبة في المشرق العربي نظرا للجدية التي امتازت بها سواء في طرح القضايا الوطنية أو الدولية أو العربية فقد كانت "تنقل عنها شهيرات الجرائد والمجلات العربية مثل الرابطة القلمية، الفتح، المنهاج والرسالة"[5].

1 – كان الأخضر عمروش رئيس تحرير "البلاغ" الجزائري سنة 1929.

2– مفدي زكرياء , المصدر السابق ,ص 167.

3 – نفسه ,ص 168.

4– مفدي زكرياء، المصدر السابق ،ص 171.

5– نفسه ،ص 172.

وتعتبر مراسلة الأمير شكيب أرسلان إلى الشيخ أبي اليقظان بخصوص أعداد من جريدة وادي ميزاب دليلا على المكانة، والتي جاء فيها:"أني تلقيت رزمة عظيمة من أعداد جريدتكم ...وقرأت أشياء لذيذة فسألت الله لكم النجاح وما من حاجة إلى البيان، إن القطر الجزائري يهمنا كما تهمنا الأقطار الشرقية..."[1].

أما عن شخصية أبو اليقظان الصحفي فيقول عنه صاحب المنهاج الشيخ أطفيش "كان أبو اليقظان إبراهيم بن الحاج عيسى من الشباب النابغ والمساهم في نهضة الجزائر عن طريق العمل الإصلاحي والصحفي في ظرف كانت فيه الجزائر تعيش تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، وبالرغم من ذلك لم تمنع هذه الظروف من قيام الصحافة العربية ...ومن بين هؤلاء كان الشاعر الأستاذ أبي اليقظان إبراهيم بن الحاج عيسى والعالم الزاهر محمد الثميني وغيرها"[2].

كما كان أبو اليقظان إلى جانب مجموعة من الجزائريين –تخرجوا من جامع الزيتونة– منهم السعيد الزاهري العيد الجباري، عمر برناوي، صالح خرفي ...الخ قد :"أسمعوا العالم أصواتهم من خلال الصحافة التونسية أولا ثم الصحافة الجزائرية فيما بعد ,وكان لهم دورهم المشرف في الدعوة الوطنية ,والنضال ونالوا قسطهم من المحاكمات والتعسف"[3].

وساهم أبو اليقظان في التعريف بالأحداث التي كانت تجري في الجنوب الجزائري من خلال صحفه الوطنية، وكذلك من خلال الصحافة التونسية "فقد نشر معظم مقالاته وقصائده ورسائله السياسية العديدة في جريدة "المنير"[4]التونسية ذات الاتجاه الوطني"[5].

وهكذا عد الشيخ أبو اليقظان رجل إعلام وفكر وإصلاح، فكان له أفق واسع وقد عبرت صحافته في الكثير من المقالات عن قضايا الوطن العربي والأمة الإسلامية، وتعرض بسبب جرائده إلى وسائل قمع رهيبة ومتنوعة وتحقيقات في مراكز الشرطة إلى جانب الحجز والغرامات المالية ...الخ والتي قابلها في كل مرة بالصبر والمثابرة[6].

1 – شكيب أرسلان : من أمير البيان شكيب أرسلان,جريدة وادي ميزاب,العدد81(1928/5/4)السنة1،ص1

2– إبراهيم أطفيش : إبراهيم أبو اليقظان , مجلة المنهاج ,ج2 ,م1,المطبعة السلفية ,مصر ,دون تاريخ ,ص 135.

3– محمد الصالح الجابري,المرجع السابق ,ص 50.

4 – المنير التونسية لصاحبها محمد الشاذلي المزالي ,ظهرت سنة 1907 توقفت وظهرت من جديد سنة 1920 ,لمزيد من الاطلاع عن الصحافة التونسية مثل صحيفة الزهرة ,النديم وغيرها مثل المنار ,النجاح ...الخ ,ينظر : دي طرازي ,الفيكونت فليب : **تاريخ الصحافة العربية** ,ج4 ,المطبعة الأمريكانية ,بيروت ,1933 ,ص 252.

5 – الحاج قاسم الشيخ : **أقلام الميزابيين في الصحافة التونسية 1920–1962**,نشر جمعية التراث ,ط1 ,نوفمبر 2006 , ص 190.

6 – عبد المجيد رمضان : رجل إعلام وفكر وإصلاح ,جريدة اليوم ,الأحد 30 مارس 2003 ,ص 15.

وهذا العناء الصحفي لأبي اليقظان شهد به الشيخ محمد خير الدين بقوله:"وكان لبعض أعضاء جمعية العلماء نشاطهم الصحفي فأصدروا صحفا طال زمن صدورها أو قصر من ذلك جرائد لأبي اليقظان، كلما عطلت له جريدة عوضها بأخرى.."[1].

أما عن أغراض الشيخ أبو اليقظان من الكتابة الصحفية فقد قال عنها محمد ناصر "...هناك جوانب كثيرة جدا ينبغي أن تفهم بها، متعلقة بشخصية الشيخ أبي اليقظان لأنه كان فقيها، وكان أديبا وكان مؤرخا ,ولا ينبغي أن نفهم أن أبا اليقظان بالمفهوم الحديث للكلمة ,بمعنى ذلك الإنسان الذي ينشر جريدة من أجل الخبز ,فالكتابة الصحفية كانت تمثل الرأي والمبدأ والفكر، فكان غرض الشيخ من الصحافة تربية الأمة، لا الغرض المادي ,وعلينا أن نبحث كيف يمكن أن نبرز هذه الجرائد التي صدرت بين 1926-1938 وما تزال مغمورة ولا توجد إلا في المكتبة الوطنية بفرنسا"[2].

وهكذا يتضح أن ظروف ظهور صحافة الشيخ أبي اليقظان لم تكن بالعادية فقد كانت في مواجهة يومية مع التعسف الاستعماري الفرنسي، لذلك عدت فعلا مرحلة جهاد هامة في تاريخ الحركة الإصلاحية والصحفية بالجزائر بواسطة القلم إلى جانب صحافة ابن باديس وغيرها.

ويمكن القول أن أبا اليقظان شخصية متعددة المواهب والجوانب استخدم الصحافة ثم التأليف لبلوغ غاياته الإصلاحية داخل الجزائر وخارجها المرتبط مع الدول العربية الشقيقة، حيث يمكن دراسة مواضيع جرائده من جوانب متعددة.

ب– مساره الصحفي :

لخص الشيخ إبراهيم أبو اليقظان وجهة نظره للصحافة في الأبيات الشعرية الآتية:

إن الصحافة للشعوب حيـاة * والشعب من غير لسان موات

فهي اللسان المفصح الذلق الـذي * ببيانـه تتـدارك الغايـــات

فهي الوسيلـة للسعـادة والهنـا * وإلى الفضائـل والعـلا مرقـاة

ماذا والحجـاز وعكـاظ ومـا ومـا * إن ساعدت لرواجها الأوقات

الشعب طفل وهـي والده يـرى * لحياته ما لا تراه رعـــاة[3]

1 – حمد خير الدين :المصدر السابق ,ص 298.

2 – جمعية التراث : **مهرجان الصحفي الشيخ أبي اليقظان الحاج إبراهيم بن عيسى** ,تقديم وتعليق محمد بن قاسم بو حجام ,جانفي 2011 ,ص 289.

3 – الزبير سيف الإسلام : المصدر السابق ,ص 142.

إذن فأبي اليقظان يعتبر أن الصحافة هي الوسيلة التي من خلالها تحيا الشعوب فهي المعبرة عن آمالها وآلامها، فمن دونها فالشعوب لا تتطور ولا تتبادل أخبار بعضها بعضا ولا وجود لقلم يدافع عنها ,فهي أبرز وأسرع وسيلة لتبليغ العالم الغايات التي تتطلع إليها من سعادة وهناء وفضائل ...الخ .

فهي المدافعة عن الأقطار والتي تنقل أخبار الحجاز وكل المناطق وهي المعبرة عن إرادة الشعوب سواء المتطورة أو الضعيفة.

وقد اعتبر أبو اليقظان أن كل أعماله الصحفية أو تأليفه هي لعامة المسلمين دون أي اعتبار، ويهدف من ورائها إلى إسعادهم والرجوع بهم إلى المنابع الحقيقية للإسلام فيقول:"رسالتي إنسانية لا يقظانية ولا مذهبية، أنا إذا كتبت أو أوعظت، إنما أوجه نصائحي ووعظي وإرشادي إلى كل المسلمين إلى جادة الحق والإسلام"[1].

أما نضاله الصحفي فكان انطلاقه من جريدة الفاروق التي أصدرها عمر بن قدور ما بين 1913–1914، ومنها تحول إلى النشاط الصحفي الخاص فأنشأ أولى جرائده وادي ميزاب سنة 1926 يضيف إليها سبع جرائد أخرى.

وواصل كفاحه إلى غاية وفاته سنة 1973، وكانت نصيحته لمن يمتهن الصحافة بأن "يتحرى الصحافيون الصدق والإيمان بالمبدأ المقدس مع الاستماتة في الدفاع عنه"[2].

كان الشيخ أبي اليقظان من المولعين بالصحافة العربية منذ صغره، فأول ما بدأ به الكتابة في الصحافة الخارجية كان مع جريدة الزهرة اليومية[3]وكيف عالجت الحرب الطرابلسية، ثم سرعان ما تحول إلى الجرائد الشرقية التي كان من خلالها يطلع على ما يجري من حوادث في دوله مثل مصر والشام والعراق وغيرها فيقول أبا اليقظان في هذا المضمار:"فكنت مولعا بتتبع جرائد اللواء المصري للأستاذ أحمد توفيق، وسائر مجلات الشرق، فكنت مولعا بسائر الجرائد والمجلات التي تصدر عن الشرق ووادي النيل ...وذلك مثل جريدة الحق، ومجلة الشيخ عبد العزيز جاويش ومجلة المنار ومجلة العرفان، ومجلة العرب، ومجلة الإخوان المسلمين، ومجلة جماعة المسلمين والشبان المسلمين..."[4].

1– الزبير سيف الإسلام : المصدر السابق,ص 143.

2 – الزبير سيف الإسلام: المصدر السابق،ص 146.

3– صحيفة الزهرة التونسية أسبوعية لعبد الرحمان الصنادلي ,صدرت سنة 1889 ,لقيت إقبالا كبيرا من قبل وجهاء تونس ,وفي سنة 1905 أنشأ لها صاحبها فرعا يوميا ,للمزيد ينظر : دي طرازي : المصدر السابق ,ص 250–251 .

4– الزبير سيف الإسلام: المصدر السابق,ص 152.

أما على المستوى المحلي فقد كان أبو اليقظان يتبادل الصحف مع الحاج عمر العنق من تبسة أين بادله بصحيفة تحمل اسم "قوت الأرواح" من مدينة القرارة أما صحيفة عمر العنق فقد حملت اسم "الرحيق المختوم"[1]كما كان دائم القراءة للصحف السابقة مع التركيز على أمهات القضايا السياسية الكبرى والاجتماعية ,وربما هذا ما تأثر به وجسده في جرائده فيما بعد –في وادي ميزاب أولا– التي كانت تصدر في الجزائر وتطبع في تونس لعدة اعتبارات منها عدم وجود مطبعة في الجزائر ,وما وجد يساير الأهواء الفرنسية ,وهذا ما يتناقض مع خط "وادي ميزاب" ذات التوجه الوطني العربي الإصلاحي الإسلامي ,ومن أجل ذلك فكر أبو اليقظان في إنشاء مطبعة عربية خاصة به سنة 1931 تكلفت بطبع كل ما هو عربي إسلامي ,ونظرا لمواضيعها التي لا ترضي السلطات الفرنسية عطلت من قبلها[2].

وبعد جريدة وادي ميزاب أصدر أبو اليقظان جريدة "ميزاب" فعطلت في أول عدد منها ثم سرعان ما أصدر جريدة أخرى تحمل اسم "المغرب" التي دامت 28 عددا وفي العدد رقم 29 وقعت فيه قضية "حرز مرجانة"[3].

ثم أصدر جرائده الأخرى وهي النور، النبراس، البستان، الأمة –وهي الأطول أعدادا– والفرقان، تصل في مجموعها إلى ثمانية صحف ,وبعد استحالة مواصلة العمل الصحفي تحول أبو اليقظان إلى مجال التأليف.

وقد كتب في جرائد جزائرية منها جريدة الفاروق لعمر بن قدور سنة 1914، جريدة المنير التونسية للشاذلي المزالي حوالي سنة 1916، كما كتب في جريدة البصائر الجزائرية، أما الجرائد العربية المشرقية فيقول عنها:"أما الدول العربية فلم أكتب عنها ولا فيها شيئا"[4].

كما كان الشيخ أبو اليقظان في احتكاك مع صحافيين جزائريين منهم الأمير خالد صاحب الإقدام العربية الفرنسية، عمر بن قدور صاحب جريدة الفاروق، الشيخ عبد الحميد بن باديس صاحب مجلة الشهاب، مبارك الميلي صاحب "المنتقد" والسعيد الزاهري صاحب "البرق" والطيب العقبي صاحب الإصلاح، والبشير الإبراهيمي صاحب البصائر[5].

1 – الزبير سيف الإسلام: المصدر السابق,ص 152.

2– المصدر نفسه.

3 – بعد أن سمع الشيخ أبو اليقظان بأن السلطات الفرنسية ستعمد إلى تعطيل الجريدة في العدد القادم مهما كان محتواه ,أصدر هذا العدد رقم 29 من جريدة المغرب مملوء بالشعوذة والخرافات منها "حرز مرجانة" فلما صدر العدد أوقفته السلطات ,وبذلك سخر الجميع من فرنسا.

4– الزبير سيف الإسلام: المصدر السابق ,ص 156.

5 – نفسه.

كما ربطته علاقات صداقة مع عبد الحفيظ بن الهاشمي[1] صاحب جريدة النجاح القسنطينية في فترة صدورها الأولى أين كانت تصنف كجريدة إصلاحية، ورُتِّب أبو اليقظان بعد ابن باديس في حقل الإصلاح والدعوة إلى التجديد في الفن الصحفي ويليه ابن الهاشمي.

لكن بعد ما تحولت جريدة النجاح عن مسارها في عهد رئيس تحريرها إسماعيل مامي أصبح لأبي اليقظان توجه عكس توجه النجاح تماما في جريدة الأمة[2].

ومن هذا يتضح أن أبا اليقظان قد عاصر كتابا صحافيين كبار من داخل الوطن وخارجه وهو ما ساهم في تبادل وجهات النظر تجاه القضايا الكبرى.

وتبادل الخبرات الصحفية وخاصة داخل الجزائر أين تضافرت جهود الجميع من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية والدينية في وقت حاولت فيه السياسة الفرنسية محوها.

ونظرا للخناق المشدد على الجزائر في الداخل من قبل السلطات الفرنسية، فقد وجد الشيخ أبو اليقظان في جريدة "المنير" التونسية متنفس هام في التعريف بأحوال وطنه خاصة منطقة الجنوب، فقد عدت رسائله التي كانت تنشر تحت عنوان "الرسائل الجزائرية أو رسائل الخارج" والتي ركز فيها أبو اليقظان على معالجة الوضع الداخلي وبحث على ضرورة الاتحاد والتضامن إلى جانب دعم المواقف الوطنية أمثال الأمير خالد.

ورسائل أبي اليقظان هذه تمثل مادة مهمة لتاريخ الجزائر وأكدت الشخصية الجزائرية، فقد استغل الوضع والصحافة التونسية ليبرز ما كان يدور من أحداث في الداخل ,وقد ساعدته مكانته في الحزب الحر الدستوري التونسي أين صرف همه كله في هذه الرسائل إلى القضية الجزائرية، فكان يهدف إلى تحقيق الإيقاظ والبعث وتحريك ركود الشعب الجزائري معتمدا على نخبة من الطلبة الجزائريين بالزيتونة.

فيقول أبو اليقظان "لمعرفة مستقبل أمة ما أنظر إلى حالة أبنائها فإن كانوا متشبثين بأن ينالوا العلوم والمعارف، آخذين بأهداف التربية الفاضلة والتهذيب القديم فأجزم بأن مستقبل أمتهم يكون زاهرا سعيدا، وإن كانوا تائهين في مهامة الجهل مندثرين بأردية الكسل والبطالة فبشر أمتهم بالتعاسة والشقاء"[3].

1 – يذكر أبو القاسم سعد أن عبد الحفيظ بن الهاشمي هو مؤسس جريدة النجاح سنة 1919 ,وهو مولود بطولقة سنة 1882 ودرس بالمدرسة الكتانية بقسنطينة ,للمزيد ينظر : أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي** ,ج3 ,1830–1954 ,ط1 ,بيروت ,1988 ,ص 264.

2– لمزيد من المعلومات حول جريدة النجاح وتحول مسارها الأول ينظر : عبد الرحمان بن العقون : **الكفاح القومي والسياسي** ,ج2 ,د.ط ,الجزائر ,1984 ,ص 72.

3– محمد الصالح الجابري : المرجع السابق,ص 309.

وقد ندد أبو اليقظان في هذه الرسائل بالجهل والأمية والخيانة والتهور، كما ندد بالسلطة الاستعمارية جهارا ونددد بعد قرار منع الصحافة التونسية التي كان يعتبرها "المد الروحي الوحيد الذي يتغذى منه القراء في الجزائر"[1].

وجاء هذا التنديد بعد القرار الذي اتخذه "مسيو أيبل" الذي لم يسكت أبو اليقظان عن فضحه أمام الرأي العام في تونس والجزائر معا مخاطبا إياه قائلا:"فهذه الصحافة التونسية قد قضت عليها السياسة العصرية بالتعطيل عنا، وحاولت بذلك حرماننا من القراءة والكتابة بلغة ديننا وبلادنا، والإجهاز على ما بقي لنا من رمق الحياة وقتل حياتنا الأدبية صبرا بعد حياتنا المادية جوعا"[2].

وهكذا أصبح أبو اليقظان وكأنه أحد أبرز أعضاء الحزب الدستوري التونسي مدافعا عن صحافتها مستغلا إياها في نشر قضايا وطنه الجزائر شأنه في ذلك شأن الجالية الجزائرية المهاجرة بتونس مثل محمد العيد الجابري[3].

ج– أسلوبه الصحفي :

إن المطلع على صحف أبي اليقظان عامة وجريدة الأمة خاصة يتضح له أن لهذا الصحفي أسلوب خاص به جدا، يميزه عن باقي الصحافيين الذين عاصروه أو حتى تعامل معهم أو تأثر بهم، وهذا الأسلوب بالإمكان تقسيمه إلى جانب نفسي أي كل ما يميز أي كاتب وصحافي أو شاعر أو أديب عن غيره، فلكل طريقته، فبمجرد القراءة بالإمكان معرفة صاحب المقال أو صاحب الكتابة، إلى جانب الأسلوب الفني من حيث طريقة وكيفية المعالجة للأحداث أو طريقة التعامل معها سواء مباشرة أو بطريقة رمزية.

وهذان الأسلوبان النفسي والفني يشكلان شخصية الصحافي أو غيره، فأبو اليقظان له ميزات نفسية وأخرى فنية خاصة به لوحده دون غيره طبعت على مختلف جرائده، أو حتى بعد انصرافه إلى الكتابة والتأليف وذلك على النحو الآتي:

أولا: الخصائص الفنية :

إن الخصائص الفنية الصحفية الموجودة في فترة العشرينيات والثلاثينيات تختلف تماما عن الخصائص المعروفة لدينا اليوم نظرا للتطور الذي شهدته الكتابة، ففي الفترة المذكورة كانت الكتابة الصحفية لا تكاد تخرج عن كونها

1- نفسه ,ص 310.

2- نفسه ,ص 312.

3 – محمد العيد الجابري (1911–1942) من عائلة جزائرية نشأ بتونس ودرس بالزيتونة ,كانت له مشاركة هامة في الحركة الوطنية التونسية ,انظم إلى الحزب الدستوري التونسي سنة 1936 من مؤلفاته : الفرائد في العلم والأدب والاجتماع ,ديوان اللهيب نشر بعد وفاته وحققه محمد المرزوقي سنة 1974.

لون من الألوان الأدبية مثلها مثل النشر، لذلك جاءت المقالات الصحفية لا تخلو من هذه الصفات حيث كانت المسحة الأدبية واضحة تمام الوضوح[1].

هذه الميزات طغت على أسلوب أبي اليقظان الصحفي، وقد تجلى ذلك ليس في الأفكار المنظمة والمنسجمة فقط ,وإنما تعدى إلى الانسجام السليم للغة العربية ,وانتقاء التراكيب حتى يكاد يكون المقال مقالا أدبيا ,ويتضح أنه استخدم هذا الأسلوب عمدا نظرا لأن اللغة العربية كانت في تلك الفترة مستهدفة من قبل الاحتلال الفرنسي واعتبرت لغة ثانية بعد الفرنسية، لذلك أراد الشيخ أبي اليقظان إحيائها والحفاظ عليها في حين كانت هناك صحف تصدر باللغة الدارجة (العامية).

هذه الطريقة كان يراها مكملة للعمل الصحفي بقوله:"إني كثير السخاء بتشطيب ما يجب تشطيبه، وتبديل ما يجب تبديله ولا يهمني ذلك، وإنما يهمني الإجادة ومطابقة الموضوع، وجمال الأسلوب، وكمال التنسيق، وانسجام المقال، وقد اتخذ مسودة ثم أبيض إذا كان الموضوع شائكا أو ذا مسؤولية"[2].

وكثيرا ما كان أبو اليقظان يركز على الظرف الزماني والمكاني للكتابة بالدرجة نفسها تركيزا على الأسلوب وحتى الشروط التي تتوفر فيهما للكتابة من خلال قوله:"...إذا أعددنا موضوع المقال الافتتاحي للعدد وكنا مشبعين بفكرته ولم يبق لنا إلا نسجه في ديباجة يستحقها، اخترنا له وقتا كافيا جامعا للفراغ والنشاط الذهني، حاليا من الهموم والغموم ومكانا خاليا من الجلبة والضوضاء"[3].

إذن نراه يختار زمان ومكان الكتابة ويحبذ لو تتوفر مع هذه الشروط مناظر جميلة لبعث الهدوء في النفس وأحيانا يقول الشيخ أبي اليقظان أنه يلتزم مكان الحدائق الغناء إذا كان الموضوع صعبا وعسيرا وشديدا.

ومن خلال ما سبق نجد أن شكل الكتابة وأسلوبها وزمانها ومكانها على قدر كبير من الاهتمام عند أبي اليقظان ولا يقل ذلك أهمية عن مضمون الصحيفة، ويمكن أن نستخلص أبرز خصائص أسلوبه الفني فما يلي:

1– الطريقة الخطابية: أو الأسلوب الخطابي ,وهو استعماله لأسلوب الخطاب المباشر للقارئ، واستعمال أدواته كالنداء، والتعجب، والاستفهام مركزا بذلك على كسب اهتمام المتلقي وجلب انتباهه وغالبا ما يتعمد طريقة التساؤل لاستدراج القارئ وتشويقه بغية متابعة أو تسهيل وصول المضمون له.

وأمثلة هذا الأسلوب غالبة كثيرا على جرائده وقد استعان ربما بهذا الأسلوب لأن هدف هذه المقالات عند موجه عادة بغرض الإصلاح لذلك كان عليه أن يكسب عواطف المصلحين ويستنهض هممهم.

1– محمد ناصر : **أبو اليقظان وجهاد الكلمة** ,المؤسسة الوطنية للكتاب ,ط2 ,الجزائر ,1983 ,ص 166.

2– محمد ناصر: **أبو اليقظان وجهاد الكلمة**, المرجع السابق ,ص 167.

3– نفسه ,ص 118.

2– إتباع الأسلوب التهكمي :

هو من بين الأساليب غير المباشرة، الغرض منها إيصال المعلومة أو الفكرة عن طريق السخرية من الشيء، فقد استخدم أبا اليقظان أساليب منها هذا الذي عبر به عن الواقع المراد تغييره بطريقة يمكن القول عنها هزلية، وما ساعده في ذلك اطلاعه على بعض الجرائد التونسية –نظرا لعلاقته بهذا البلد– والمصرية والجزائرية التي كانت تستخدم هذا الأسلوب[1].

ويبرز هذا الأسلوب في جريدته البستان التي تعبر عن اتجاهها الصحفي في مواضيعها بطريقة فكاهية نقدية، وطريقة السخرية عند أبي اليقظان معبرة عن مدى تذمره وسخطه وعدم رضاه عن الواقع الذي يعيشه.

3– الأسلوب الرمزي : وهو تسمية الأشياء بغير مسمياتها أي رمزيا، فنظرا للظروف الخاصة التي عاشتها الصحافة العربية في الجزائر وعموم الدول العربية الأخرى مثل تونس ومصر في فترة العشرينيات والثلاثينيات فقد لجأت كلها الى استخدام أسلوب الرمز بهدف الإفلات من الرقابة والقوانين الزجرية المسلطة عليها[2].

كما نسجل هنا لجوئه إلى الصراحة دون الرمز وقد يكون أميل للصراحة والمباشرة في كتاباته، وخاصة إذا تعلق الأمر بالحديث عن الاستعمار فهو لا يستعمل الرمز أو التلميح، فيحمل السلطات الاستعمارية المسؤولية مباشرة، ويواجه الأفكار التي أصبحت طيعة في يد الاحتلال الذي سخرها في تحطيم الإسلام من أمثال: طه حسين، علي عبد الرزاق، مصطفى كمال أتاتورك، أمان الله خان ...الخ[3].

لكنه كان أحيانا يلجأ الى الرمز تحت عدة مبررات منها على سبيل المثال الحفاظ على حياة الجريدة فإذا كان العدد فيها يعالج قضايا تعطي الاحتلال فرصة إصدار قوانين المصادرة فهنا يعتمد على أسلوب الرمز الذي من خلاله يمكن أن يتملص من المفهوم أو المقصود "ولم يعد غريبا أن يلجأ الكتاب الصحفيون إلى أساليب الرمز والتعريض في تلك الظروف القاسية الرهيبة التي كانت الصحافة العربية تعيشها تحت حكم مستعمر يحاسب على الخاطرة ويعاقب على الهمس، بل لعل الغرابة أن لا يكون أسلوب الصحافة آنذاك رمزا كله"[4].

وبالرغم من اللجوء إلى أسلوب الرمز إلا أن الصحافة اليقظانية لم تنج من المصادرة والمتابعة والاستجواب القضائي، ومن خلال مقالات صحفه فإننا نجده اتبع معظم طرق الرمز بهدف التحايل أو التعريض أو التلميح ,ومن أساليب الرمز ما يلي :

1– نفسه ,ص 170.

2– محمد ناصر: **أبو اليقظان وجهاد الكلمة**, المرجع السابق ,ص 173.

3 – محمد ناصر: **المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها, تطورها ,أعلامها من 1903 إلى 1931** ,مج1 ,ش و .ن .ت ,الجزائر 1975 ,ص 175.

4– محمد ناصر : **أبو اليقظان وجهاد الكلمة** ,المرجع السابق ,ص 173.

* طريقة الرؤية في الحلم أو المنام:

فعندما يريد أن يكتب حول موضوع يوضح بأن ما سيرويه قد رآه في المنام وليس حقيقة، وهو بذلك يوجه أنظار الرقابة إلى أن المقال لا يعدو أن يكون حلما فقط ,لكن عند المتتبعين يدركونه أنه ما هو إلا تعبير عن واقع حقيقي وليس حلما "وبهذه الحيلة البارعة يتسنى لهم الإفصاح بكثير من الأشياء التي كانوا يتحرجون من ذكرها ,وهم في حالاتهم العادية وفي كامل قواهم العقلية"[1].

ومن بين ما استعمله أبو اليقظان بهذه الطريقة المقال الذي أمضاه باسم مستعار "نائم" في جريدة البستان العدد الرابع الصادر بتاريخ 1933/05/23 والذي عبر فيه عن واقع مر في الجزائر بعدما ضربت الأزمة الاقتصادية وفرنسا ماضية في نهب الثروات.

* إتباع طريقة الحوار: وهي أسلوب رمزي آخر، كأن يتخيل الحوار جار بين طرفين أو أكثر أو بعض الأشياء والمعاني، بأن يبعث فيها الكاتب الحركة ,وربما هذا مستمد من الأدب العربي مثل كتاب كليلة ودمنة على لسان الحيوان، إلا أنه كان له أهداف غير ذلك "فقد كان يعتبر هذا المؤلف من الكتب القيمة التي تأثر بها وأعجب بها أيما إعجاب، وكان كثير القراءة له ,طويل التفكير والتأمل في محتوياته مأخوذا بخفة روحه وبديع جماله"[2].

ومن بين مقالاته بهذه الطريقة ما كان ينشره في جريدة الأمة من سلسلة مقالات حول خصوم الحركة الإصلاحية بميزاب تحت عنوان "حديث المفلسين"[3].

وفي هذه السلسلة أجرى أبو اليقظان محاورة شبه مسرحية على لسان زعماء المحافظين الذين يطلق عليهم أسماء فكاهية مضحكة، وكذلك الحوار الذي أجراه على لسان عصفورة والذي انتقد من خلاله المواقف الانهزامية من القضايا الوطنية[4].

ثانيا: الخصائص النفسية: أو الخصائص الخاصة أو الذاتية أو الوجدانية ومنها:

1– الصراحة :

إن المتتبع لمقالات أبي اليقظان الصحفية انطلاقا من جريدة وادي ميزاب إلى آخر جرائده الفرقان يلمس فيها الصدق والإخلاص في المعالجة، وبأن قلمه من بين الأقلام المشهورة في تلك الفترة من أمثال ابن باديس، ومحب الدين الخطيب، ورشيد رضا، ومحمد عبده وغيرهم من المصلحين البارزين.

1 – نفسه ,ص 174.

2 – محمد ناصر : **أبو اليقظان وجهاد الكلمة** ,المرجع السابق ,ص 177.

3 – للاطلاع على سلسلة المقالات كاملة ينظر : الأمة ,الأعداد 162 ,165 ,167 ,169 ,170.

4– محمد ناصر : **أبو اليقظان وجهاد الكلمة** ,المرجع نفسه ,ص 176.

وربما ما يكشف هذا الصدق والإخلاص ما ورد على لسانه "إن رسالتي إنسانية، لا يقظانية ولا مذهبية، إذ أكتب أو وعظت ,أوجه نصائحي ووعظي وإرشادي إلى كل المسلمين"[1].

فهو يتبع الوضوح في الأفكار والقصد وذلك عن طريق المباشرة، وهذا رغم الانتقادات التي وجهت له على هذه الصراحة لأنها غالبا ما جلبت له المشاكل والعراقيل إلا أنه فضل هذا الوضوح لأنه كان يرى بأنها أنجح طريقة للمعالجة وأن الهمس ومعالجة المواضيع بالحسنى والتعقل يتناقض معها أبو اليقظان –إلا في المواضيع المشار إليها سابقا– فقد هاجم هذه النظرية ورأى أن "المرحلة التي تمر بها الأمة تستدعي من المصلحين الصراحة لا الهمس والمباشرة والقصد لا التملق والنفاق والتدجيل والمداهنة"[2].

وقد جسد هذه النظرية في مقال له بعنوان:الصراحة خير علاج للأمة[3]، ويبين لنا هذا أن أفكار أبي اليقظان مباشرة في غالبها وهذا ربما راجع إلى مستوى العامة من الناس الذين كانت توجه لهم الخطابات.

ويزداد انفعاله على الخصوص في معالجة القضايا التي تمس الدين الإسلامي أو الوطنية مباشرة، فكأن أسلوبه ناري وقلمه ثائر، وذلك بسبب حماسته الشديدة تجاه هذه الحدود، وأسلوب الصراحة والانفعال الشديد هما خاصيتان نفسيتان في كتابة أبي اليقظان[4].

وكان يرى أن أسلوب الهمس وعدم إتباع الصراحة يدل على ضعف في شخصية الكاتب، من جهة ومن جهة ثانية دلالة على الخوف من الخصم فيقول: "فإن الخصم مهما سفلت قيمته وانحطت ليرى في نفسه للصدق قيمته، وللصراحة شأنها وللحق روعته وجلالته وان تظاهر بخلاف ذلك"[5].

وغالبا ما كان أبو اليقظان يعلن حبه للصراحة، ومن الممكن أن هذا راجع إلى كونه رجل دين إصلاحي قبل أن يكون صحفي حيث يقول:"لا يكبر أمامي عند كتابة موضوع ما أي شخص لأي رجل، بل أتخذ الحق فيها رائدي وإصابة كبد الحقيقة، والواقع هدفي الأسمى، ومسلكي في ذلك هو مسلك القرآن الكريم تقريبا والصراحة والاصداع بالحق قدر الإمكان، سيما إذا كان أمامي ما أنا أعالجه من إلحاد أو خيانة أو مروق من الدين أو فسوق، أو تهتك في الأعراض ,ولا أتخذ الصراحة والشدة لنفسي إجابة للهوى..."[6].

1- نفسه , ص158.

2- محمد ناصر : **أبو اليقظان وجهاد الكلمة** ,المرجع السابق, ص158.

3- للاطلاع على المقال كاملا : ينظر :ب دون إمضاء : الصراحة خير علاج للأمة ,جريدة وادي ميزاب ,العدد 102 (1928/09/28) ,السنة 2 ,ص 1.

4- محمد ناصر : المقالة الصحفية ,المرجع السابق ,ص 176.

5- نفسه ,ص 159.

6- نفسه ,ص 160.

وهكذا تبدو الصراحة ركيزة أساسية في شخصية إبراهيم أبو اليقظان الصحفية سواء من خلال مقالاته أو تصريحاته هو شخصيا، ومن أكبر المواضيع التي عالجها بصراحة تامة نجد ما يتعلق بمقومات الشخصية الوطنية، موقفه الحازم من قضية التبشير المسيحي، الفتوى بالتجنيس والمتجنسين بالجنسية الفرنسية، محاربة الرذيلة والانحراف الديني أينما كان أو الانحلال الخلقي.

وقد تكون هذه المجالات التي برزت فيها صراحته هي التي تركت الجانب الإصلاحي فه يظهر في شخصيته الصحفية.

وكمثال على هذه الصراحة المتناهية ما ندد به في جريدة الأمة بعد اقتحام السلطات العسكرية الفرنسية في غرداية مجلس من مجالس القرآن حيث قال: "أتبلغ السفاهة والوقاحة بهؤلاء إلى حد ترويع المؤمنين المطمئنين في وقت التجائهم إلى الله ...أفي الوقت الذي تحتفل فيه مصر والعراق وسوريا بأعياد الحرية، تمتهن كرامة الدين بميزاب إلى أقصى حدود الامتهان"[1].

2– التحمس (الحماسة) :

يغلب على مقالات أبي اليقظان الطابع الحماسي في معالجة القضايا المتنوعة إلى درجة يمكن الحكم عليه بالاندفاع من شدة هذه الحماسة ويصبح رجل إصلاح أكثر منه رجل صحافة.

وربما هذا الأسلوب راجع إلى عوامل مختلفة من أبرزها أن صحافة ما بين الحربين كانت صحافة خاصة لإبداء الرأي والمبدأ قبل أن تكون إعلامية وخبرية، وكانت صحافة هادفة إلى نشر الوعي والثقافة والتربية.

أما السبب الآخر في هذا الحماس هو طبيعة أبو اليقظان النفسية التي تتميز بهذه الصفة، وعلى الخصوص عند معالجته للقضايا الحساسة السابقة الذكر، وهناك سبب آخر يكمن في شخصيته أيضا وهو كونه شاعرا ويميل إلى كل ما هو جميل بنفس حساسة مرهفة تجاه ما يمس الوجدان فيقول :"...أنا صناعتي الأصلية الفلاحة ,ففيها رياضتي وفيها أنس وحشتي ...وأنا طبعي طبع شاعر يميل بفطرته إلى المناظر الجميلة من مزارع وأشجار ,ونخيل وظلال في سائر فصول السنة ,وخصوصا الربيع الذي هو ريحانة فصول السنة"[2].

إلى جانب عامل الزمن الذي ظهر فيه وتكوينه الديني الخطابي المباشر، وقد تكون هذه العوامل السابقة هي من أعطت أبا اليقظان صفة الحماسة في صحافته وتدفعه أحيانا إلى الشدة فيها والثوران والغضب إذا كان الموضوع يمس الدين والوطن.

1 – بدون إمضاء : اعتداء فضيع في غرداية , الأمة ,العدد 136 ,(1937/09/27) ,السنة 3 ,ص 1.

2– محمد ناصر : **أبو اليقظان وجهاد الكلمة** ,المرجع السابق ,ص 163.

3– صفة التفصيل والتحليل :

تنفرد كتابات ومقالات الشيخ أبي اليقظان بصفة الطول وخاصة في الافتتاحيات، وهذا ما لا يختلف فيه مع باقي صحافيي الاتجاه الإصلاحي انطلاقا من رغبتهم في إيصال أفكارهم إلى القارئ بأي صفة مع الاستخدام الواضح للتحليل والتفصيل واللجوء إلى التعليل أحيانا والتكرار وغالبا ما يتعدى إلى التعليق على المقال وإبداء رأيه أو رأي جريدته.

كما يستخدم منهجية خاصة في موضوعه بحيث يجعل له مقدمة وعرض وخاتمة مع تقييم الموضوع الواحد إلى عناوين فرعية كثيرة ومتعددة أو نشره في حلقات نظرا لطوله وحرصه الشديد على تفصيله وعدم ترك الجزئيات منه.

وفي عرضه لمقالاته غالبا ما يستشهد بالأمثلة من الواقع، أو آيات من القرآن الكريم وأحاديث نبوية وأشعار...الخ، وأمثال عربية وهذا ما يدعم التعليل والفهم بسرعة.

وطول مقالاته يضفي عليها طابع البحث أو المحاضرة "وهو ما يجعل المقال خليطا من الخطبة والمحاضرة والبحث"[1].

أما أسباب إتباع أسلوب التحليل والتفصيل فقد يكون طغيان الشخصية التعليمية عليه وهذا ما ساعده أو دفعه إلى التفصيل، ومما سبق نستنتج أن أبا اليقظان قد انفرد بميزات صحفية من خلال صحافته فمنها ما تعلق بالجانب النفسي أو الجانب الفني وكل خاصية تشكل أسلوب من أساليبه التي ميزته وميزت جرائده عن باقي الجرائد الأخرى والصحافيين.

د– أبو اليقظان والمطبعة العربية :

إن عملية طباعة الصحف من العمليات صعبة التحقيق والمكلفة ماديا، خاصة في ظل ظروف خاصة في الجزائر ما بين الحربين، أين فرضت رقابة شديدة على كل ما يطبع باللسان العربي لذلك ظلت الرقابة والعراقيل مستمرة.

هذه الظروف واجهت الشيخ إبراهيم أبو اليقظان طيلة حياته الصحفية وعلى الأخص أولى جرائده "وادي ميزاب" أين كانت تصدر في الجزائر وتطبع في تونس، وما يشكله هذا من صعوبات ففكر في إنشاء مطبعة عربية خاصة به طبعت فيها صحفه وأعمال أخرى قصد تمويلها والحفاظ على التراث العربي الإسلامي.

وجاء إنشاء المطبعة العربية لظروف مادية وأخرى معنوية يمكن التفصيل فيها على النحو الآتي:

أولا : الدوافع المادية :

1– محمد ناصر : **أبو اليقظان وجهاد الكلمة** ,المرجع السابق,ص 165.

إذا ما تتبعنا تاريخ المطابع العربية في الجزائر نجد أنها قليلة جدا ومحدودة، وما وجد منها كان مسايرا لتوجه السياسة الاستعمارية منها مطبعة المصحف "ردوسي قدور بن مراد التركي"[1].

وفي الفترة نفسها كان أبو اليقظان في حاجة إلى طباعة جريدته "وادي ميزاب" فقد كان يبعثها مادة خام في طيات جرائد تونسية مثل النهضة أو الزهرة وتعاد إلى الجزائر في خلال أسبوع بواسطة القطار الرابط بين الجزائر وتونس[2]،حيث كان يعينه في هذه العملية رجال منهم الشيخ محمد الثميني وابن الشيخ قاسم بن عيسى واستمر الوضع على حاله من 1926 إلى 1929[3].

وكخطوة أخرى بدأ الشيخ أبو اليقظان بطبع جرائده في المطبعة العلوية في الجزائر إلا أنه عانى من عدم جودة الطباعة والقيام بالتصحيح وحتى الحذف المتعمد أحيانا أخرى، كل هذه الظروف حتمت ودفعت به إلى التفكير الجدي في إنشاء مطبعة خاصة به للقيام بطباعة جرائده إلى جانب أعمال أخرى فكان ينظر إلى المطابع بأنها:"بمثابة معمل، يبرز نتائج أدمغة الرجال على تفاوتهم العلمي والفكري واستعدادهم العقلي، وكلما كثرت المطابع في البلاد إلا وانتشر الأدب فيها بسرعة ونمت الحركة الفكرية والعلمية فيها ,فإذا كانت الجرائد هي الروح الباعثة للتفكير والنهوض، فالمطابع هي السبب في ذلك الباعث ...على أنه ليس من المعقول ولا من الصواب أن توجد صحيفة بدون مطبعة، بل أرى من الشروط الضرورية الإسراع بتأسيس مطبعة قبل إنشاء جريدة أو مجلة والذي ينشئ جريدة قبل تأسيس مطبعة كالذي يتسارع للبناء قبل إعداد معداته"[4].

إذن من الملاحظ أن هناك دوافع كانت وراء تأسيس المطبعة العربية بالإضافة إلى الظروف المحيطة به والتي عجلت بها وبعد ظهورها زالت كل العراقيل السابقة ووفرت الجهد والوقت.

ثانيا: الدوافع المعنوية:

انطلاقا من إيمان أبا اليقظان بأن سلاح الكلمة هو الأقوى وأن الصحافة هي أسرع وسيلة لتبليغ الأهداف، فقد سارع إلى إنشاء هذه المطبعة التي تعين على إنشاء صحافة حرة "تثبت في الأمة هذه الروح العالية، روح الاعتناء بالمعنويات وتكوين شعور حي عام فيها، تبرز به شخصيتها في عالم الأمم الحية"[5].

1- جمعية التراث : **مهرجان الصحفي الشيخ أبي اليقظان** الحاج إبراهيم بن عيسى, المرجع السابق ,ص 127.

2- كانت جريدة وادي ميزاب تطبع في تونس بنهج سوق البلاط رقم 57 وإدارتها في الجزائر بنهج "لالير" رقم 39 بالعاصمة.

3 - جمعية التراث : **مهرجان الصحفي الشيخ أبي اليقظان** ,المرجع السابق ,ص 128.

4- الفرقد : تأسيس المطابع ,جريدة وادي ميزاب ,العدد 71 (1928/02/25) ,السنة 1 ,ص 1.

5- عبد الرحمان بن عمر : الأمة والصحافة ,جريدة ميزاب ,العدد 01 (1929/02/25) ,ص 2.

والمراد هنا من المطبعة العربية هو الحفاظ على الشخصية، والأخلاق، والسمو الاجتماعي بالموازاة مع التقدم العلمي والاقتصادي والرفاهية فيقول:"وأما إنشاء المطبعة العربية فهي كذلك غايتنا، هي غاية الصحافة وهي غاية أدبية صرفة لا مادية، وهي وسيلة واسعة النشر لا للصحافة فقط، ولكن لها وللكتب أيضا وللوسائل بحكم المقاصد"[1].

تحت طائلة الدوافع السابقة أنشأ أبو اليقظان مطبعته في أوائل سنة 1931 "فاشترى المحل الكائن بـ70 نهج روفقو (ذبيح الشريف حاليا) وكان محلا ضيقا جدا فهو لا يتجاوز 40م^2، رغم أن فيه طابقا أرضيا ينزل إليه بسلم خشبي، يكاد يكون واقفا، وكانت طاولات تصنيف الحروف وتوابعها ثم آلات الطباعة في الدهليز"[2].

وكانت الفكرة الأولى تدور حول إعطاء المطبعة اسما وهو "المطبعة العصرية" إلا أن أبا اليقظان رفض التسمية وقرر اسم "المطبعة العربية" نظرا للبعد الوطني والقومي للدور المستقبلي لها[3].

وابتدأ أبو اليقظان طباعته بآلات صغيرة وقديمة وطور فيها إلى أن أصبحت حديثة وجديدة، وهذا بمساعدة تلميذه القادم من القرارة تاعموت عيسى.

ومن أبرز عمال هذه المطبعة أيضا الشيخ عدون الذي كلفه أبو اليقظان بالتحرير في طيلة فترة نشاطه الصحفي، وأوكل إليه شؤون التسيير والإدارة والتصحيح وإدارة المطبعة كلية من جوان 1936 إلى جوان 1937.

وكان أبو اليقظان ينبه هؤلاء العمال أن النشاط في المطبعة لا يدر الربح والمال وإنما تحقيق عمل الخير ورضا الله مثلما خاطب عيسى تاعموت لما اتصل به في مدينة خنشلة سنة 1926 "إني عازم على مشروع صحفي عظيم وقد اخترتك من بين تلاميذي وأصدقائي ...وأن هذا المشروع لا يدر مالا ولا يكسب ثراء..."[4].

وقد تعلم عيسى تاعموت التصفيف في تونس وبرع في العربية إلى جانبه كان عمر بن بكير، الحاج مسعود والذي عمل مصففا لمدة خمس سنوات، ومن العمال أيضا نجد المغني "عبد الحميد عبابسة" حيث يقول عنه السيد عمر بن بكير "أنه كان في أثناء عمله يملأ الجو أنسا بما تطلق حنجرته من الغناء والألحان"[5].

1- جمعية التراث : **مهرجان الصحفي الشيخ أبي اليقظان** ,المرجع السابق ,ص 127.

2 - جمعية التراث : **مهرجان الصحفي الشيخ أبي اليقظان** ,المرجع السابق ,ص 129.

3- أنشأت المطبعة العربية تحت سجل تجاري رقم 314 (01 فيفري 1931).

4- جمعية التراث : **مهرجان الصحفي الشيخ أبي اليقظان** ,المرجع السابق ,ص 131.

5- نفسه ,ص 132.

ومنهم كذلك السيد بدر الدين صاري بن يوسف الذي كان مصففا بالعربية والفرنسية حيث نقل خبرته وعلمها للجزائريين بعد عمله في مطبعة غير عربية، فعلمهم التصفيف ثم تسيير الآلات، كما استعان أبو اليقظان – اضطرارا– بالخبرة الأوربية الفنية لتسيير آلات الطبع.

كما عمل ابنه عيسى في المطبعة التي سيرها طيلة فترة الحرب العالمية الثانية، وللإشارة فإن عيسى تاعموت كان سندا قويا لأبي اليقظان في المطبعة العربية فإلى جانب كونه مصففا بالعربية، كان مسئولا عن الأشغال الخارجية للمطبعة من متطلبات الشراء الخاصة بمواد الطباعة[1].

أما عن علاقات الشيخ أبي اليقظان مع هؤلاء العمال فقد كانت في مستوى المعاملات الإنسانية، لا دخل لنظرة رب العمل للأجير عنده، فقد كان مرحا معهم وينمي فيهم روح العمل الجماعي، ويستشيرهم في تقنيات الطباعة هذا مع منحهم الأجر المستحق مع ظروف المطبعة المادية الصعبة، ويرقي من يستحق، فقد تمت ترقيت السيد "بدر الدين صاري" إلى أن منح 30% من الفائدة بعد أن كان يعمل بقيمة 31 فرنكا شهريا[2].

أما من ناحية جودة الطباعة فهي رفيعة إذا ما قورنت بظروف وقتها وتكاد تكون منافسة للطباعة اليوم بالوسائل الحديثة، وتزداد درجة الجودة في طباعة جرائد أبي اليقظان، ناهيك عن بعض الصور الواردة في جريدة الأمة وهي ذات مسحة فنية واضحة[3].

موقف السلطات الاستعمارية من المطبعة العربية:

كانت المطبعة العربية مصدر قلق للاحتلال الفرنسي على ما تقوم به من نشاطات غير مسايرة لتوجهها في الجزائر، خاصة وأنها كانت تطبع الصحف اليقظانية التي كانت بمثابة الباعث الحقيقي والمحافظ على الهوية الوطنية ,لذلك غالبا ما كانت هذه الإدارة التعسفية تقوم بمداهمات لها ومصادرة ما كانت تطبع.

ومن أجل ذلك راحت تلصق التهم بأبي اليقظان "وأن مطبعته تنشر وتطبع انتاجات ابن باديس وأنها على علاقة اتصال دائمة، تطبع المطبوعات الوطنية والثورية من نشيد ومنشورات حزب الشعب الجزائري"[4].

فصبت غضبها عليه وأوقفت جرائده، واقتحمت المطبعة مرات عديدة ,وخلاصة القول عن المطبعة العربية لأبي اليقظان ,أنها كانت عونا رئيسيا في تواصل صدور جرائده منها جريدة "الأمة" وساهمت في الحفاظ على تراثنا عن

1– اختص عيسى تاعموت في "متابعة بيع الجريدة وتوزيعها في كامل القطر ,فكان الممثل التجاري الفعلي للمطبعة ,وترقى إلى التوقيع رئيسا للتحرير لما أوقفت بعض جرائد أبي اليقظان فاستبدل اسمه باسم أبي اليقظان" ,نفسه ,ص 131.

2– جمعية التراث : **مهرجان الصحفي الشيخ أبي اليقظان** ,المرجع السابق ,ص 132.

3– من هذه الصور نجد صورة سليمان باشا الباروني ,وصورة الباخرة التي ترافق الإعلان عن الحج ,للاطلاع ينظر على التوالي : الأمة : العدد 51 (1935/11/19) و العدد 17 (1935/01/15) .

4– جمعية التراث : **مهرجان الصحفي الشيخ أبي اليقظان** ,المرجع السابق,ص 138.

طريق الطبع أو إعادة الطبع وقد مدت يد العون من انتاجات مطبوعة "وكانت رافدا من الروافد المهمة التي تصب مباشرة في بعث الروح العلمية والثقافية ثم الروح الوطنية والثورية في كامل طبقات الشعب الجزائري"[1].

بعض ما قيل عنه :

شخصية الشيخ إبراهيم أبو اليقظان قيل عنها الكثير وكتب حوله أقلام بارزة سواءاً داخل الوطن أو خارجه، فإلى جانب اعتراف المشارقة أنفسهم بشخصيته وعلى رأسهم السيد رشيد رضا والأمير شكيب أرسلان –كما سبق – صرحت شخصيات جزائرية بفضله ودوره في الحركة الإصلاحية وعلى الخصوص في منطقة وادي ميزاب ومن هذه التصريحات نورد على سبيل المثال:

– الشيخ عبد الحميد بن باديس: << وأبو اليقظان إلى جانب ميزابيته التي يفاخر بها وله الحق، عربي يجاهد ويجالد في سبيل العروبة، ووطني يناضل ويقارع في سبيل الوطنية، ومسلم أخلص لله دينه، يجعل الإسلام في الصف الأول من كل أعماله ... أما إذا قال أبو اليقظان مقالاً لحوادث القطر الجزائري فإنه يسيل العبرات دماً ويجر القلب تأثراً ويبعث في النفس شعوراً جليلاً ...>>[2].

– أحمد توفيق المدني: << الشيخ أبو اليقظان لا يتكلم إلاّ عن عقيدة، ولا يكتب إلاّ عن إيمان، ولا يجاهد إلاّ في سبيل الإسلام وبلاد الإسلام، وقد أظهرت الأيام من بعد أنه مقارع مجاهد مقاوم معاند، صرع الاستعمار ولم يصرعه الاستعمار، ضرب بسهم في الجهاد الصفي والفكري ما لم يبلغ في الجزائر أحد شأنه>>[3].

– الزبير سيف الإسلام: << هذا الصحفي الغيور الذي صارع الاستعمار طويلاً في ميدان الصافة بقلمه وكلمة الحق، فكان بطلاً من أبطال الجهاد العربي، وكان من المناضلين الجزائريين الأوائل الذين قلبوا من التاريخ وجهاً وجددوا لهيكله الإهابة >>[4].

ويقول أيضا الزبير سيف الإسلام: << والمؤكد أنه عندما يطالع القارئ هذه الصحف أو أخبارها ويعرف البطولات الصحافية التي كان يقفها الأستاذ المرحوم إبراهيم أبو اليقظان ... لا يسعه إلاّ أن يقف وينحني إجلالاً

1– الزبير سيف الإسلام: المصدر السابق ,ص 139.

2– عبد الحميد بن باديس : صدور ديوان أبي اليقظان وجريدة النور ، مجلة الشهاب ، ج10 ، مج7 ، أكتوبر 1931 ، السنة 4 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2001 ، ص 657.

3– أحمد توفيق المدني : **حياة كفاح** ، ج1 ، (مذكرات) ، 1905–1925 ، م و ك ، ط2 ، الجزائر ، 1988 ، ص 157.

4– الزبير سيف الإسلام: آخر حديث لعميد الصافيين الجزائريين المرحوم أبي اليقظان، مجلة الأصالة ، العدد 14–15 (جوان ، جويلية ،أوت) 1973 ، السنة3 ، ص 288.

واحتراماً لهذا البطل الصلب المجاهد المؤمن الذي لم يستسلم لضربات الإدارة الاستعمارية المتتالية عليه والتي كانت في كل مرة تعتبر ضربة قاتلة له، ولكنه كان يتحمل الضربة بصبر وبسالة ويكر ثانية على الظالمين ...>>[1].

– الأمير خالد: << إلى حضرة أبي اليقظان: يا حضرة أبي اليقظان الشهم الناص النصوح، شكرت فأثنيت فبالغت، حيث أني لم أود حتى الآن، ما هو واجبي على كل ذي شعائر إسلامية وإنسانية، هنأت ونصحت وأرشدت فأثرت جزاك الله عن الصنيعين خير الدارين، لقد بثت مقالتك في قلوب الأهالي روح الحياة، وأيقظت حتى المفسدين والمضلين من سباتهم وغيهم، وحركت عواطفهم وأحاسيسهم وجعلتني أسير مصالحهم وبغياهم، لا أبالي بدسائس ولا عوائق، بقلب متجلد أشد من الحديد قسوة معتمداً على الله وعلى قوة المجموع >>[2].

– أحمد زكي المصري الشهير بشيخ العروبة في وصف إحدى جرائد أبي اليقظان – وادي ميزاب – <<إن صاحب الجريدة من أبرع الكتاب وأشجعهم ، ولم أر جريدة كهذه وما كنت أظن أنها توجد بشمال إفريقيا تحت نير الفرنسيين، إني لأعدها من أكبر الجرائد التي عبرت عن رأيي وصورت مثل آلامي >>[3].

– حظيت شخصية أبو اليقظان بالكتابة من الجيل الذي عاصره ، سواء في بداية حياته أو في مرحلة التأليف التي دخلها بعد تعطيل جرائده مثل ما كتبه الشيخ عبد الحميد بن باديس عنه أو عن جرائده حين تعطيلها، وندد بهذا التعسف في حق الصحافة العربية بالجزائر إبان الحقبة الاستعمارية ، أو كتابته عن صدور ديوان أبي اليقظان إذ وصل مجموع ما كتبه ابن باديس إلى ما يزيد عن خمسة مقالات في مجلة الشهاب وهذا من الأدلة الواضحة على مكانة الشيخ إبراهيم أبي اليقظان عند ابن باديس وتعاضدهما في مجال الحركة الإصلاحية في الجزائر عامة أو التي يقوم بها أبو اليقظان في وادي ميزاب.

إلى جانب ما كتبه أبو إسحاق إبراهيم أطفيش أحد أقطاب الصحافة والإصلاح المنفي إلى تونس ثم إلى القاهرة، وهذا بعد أن رأت السلطات الاستعمارية مكانة هذا الرجل في رسالته، فقد كان يؤيد أبو اليقظان وصحافته وبارك صدور جرائده منها وادي ميزاب حتى وهو في المنفى.

ويمكن القول أن كتابات ابن باديس أو أبو إسحاق أطفيش أو محمد الصادق بسيس بتونس هي اعترافات بمكانة الشيخ أبو اليقظان بين معاصريه وعلى الخصوص في الجانب الصحفي والإصلاحي.

1– الزبير سيف الإسلام: **تاريخ الصحافة في الجزائر**، ج6 ، المصدر السابق ، ص 100.

2 – صالح خرفي ، مجلة الثقافة ، العدد 14 السابق ، ص 9 – 20.

3– حمد ناصر : أبو اليقظان والقضايا العربية والإسلامية ، مجلة الثقافة ، العدد 22 السابق ، ص 53 – 66.

أما الأقلام التي عايشت أبو اليقظان في مراحل حياته الأخيرة فهي أكثر بكثير مما يدل على أن أبو اليقظان اتضحت ثمرة بذرته وتأثيره الصحفي في الأجيال وهي الأقلام نفسها التي رثته بعد وفاته وأشادت بمناقبه وخصاله، ومن هؤلاء نجد الدكتور محمد ناصر بوحجام الذي كتب الشيء الوفير عن شخصية أبو اليقظان من جوانب عدة.

أما الجوانب التي تدور حولها المقالات التي كتبت عن الشيخ أبو اليقظان في الصحف والدوريات العربية فهي تدور حول نشاطه الصحفي والإصلاحي ورثائه بعد وفاته، أو إصداراته الصحفية أو الأدبية أو الإشادة بمكانته واهتماماته بقضايا العروبة والإسلام.

ولقد حظيت الجرائد والمجلات التي كتبت عن أبي اليقظان بمكانة بارزة في الوسط الصحفي والإعلامي أو القيمة الصحفية والثقافية لها على غرار مجلة الشهاب وهي ذات قيمة تاريخية هامة.

إلى جانب الجرائد والمجلات الحلية مثل الثقافة والأصالة والشعب ...الخ التي اهتمت شخصية أبي اليقظان الذي ذاع صيته داخل الجزائر وتعداها إلى خارجها نحو دول الجوار – تونس- أو نحو دول المشرق العربي خاصة في القاهرة وبذلك أصبح اسم أبو اليقظان اسم شهرة في الصحافة العربية والإسلامية.

كما أن فترة صدور المقالات في الجرائد والمجلات المذكورة نلاحظ عنها أنها في العشرينيات والثلاثينيات وهي بداية أبو اليقظان الصحفية، وبداية معاناته مع مصادرة صحفه من قبل الإدارة الاستعمارية، وأحسن من غطى هذه الفترة – على ما يبدو – كانت مجلة الشهاب لابن باديس التي كانت تشهر إنشاء جريدة وتندد بتعطيل الأخرى وأصبحت نعم الصديق لجرائد أبي اليقظان في تلك الفترة.

أما معظم فترة الجرائد والمجلات الأخرى فمقالاتها ترجع إلى فترة السبعينيات وعلى الخصوص بعد سنه 1973 وهي سنة وفاة الشيخ أبي اليقظان، فنجدها تهب دفعة واحدة تنعي فقدان الصحافة لأحد أعمدتها ووتدها الرئيسي وكأنها تجمع على خسارة كبرى في المجال الصحفي الذي طالما عبّر من خلاله أبو اليقظان عن آمال وآلام الشعوب.

الخاتمـــــة:

برز إبراهيم أبو اليقظان من خلال جريدة –الأمة– كأحد أقطاب الإصلاح الداعي بالعودة إلى أصول الإسلام ومنابعه الحقيقية عن طريق الدعوة، الإرشاد، التوجيه الأخلاقي ومعالجة القضايا الاجتماعية مركزا على التعليم العربي الإسلامي خارج دوائر السلطات الفرنسية ,وهو من المهتمين بالقضايا الوطنية المصيرية التي طالما وجهت رواد الحركة الوطنية الجزائرية إلى جانب شخصيات أخرى مثل ابن باديس أو مصالي الحاج في حزب الشعب، وذلك على غرار موقفه من الوفد الجزائري المنبثق بعد المؤتمر الإسلامي سنة 1936 وعليه برز جانب آخر في شخصيته وهو اهتمامه

بمصير الجزائر السياسي وحتى دول المشرق العربي أين سجل موقفه المساند لفلسطين في جميع مراحلها ومصر وتطوراتها السياسية بين أعضاء حزب الوفد والقصر الملكي الحاكم.

كما يعد الشيخ أبي اليقظان أحد أعمدة رجالات الدين سواء في منطقة ميزاب أو الجزائر أو الوطن العربي عامة، أين برز كخطيب وهو الأسلوب الذي غلب على جل مقالاته، مع كونه رجل فكر وثقافة عربية إسلامية فضل الوصول إلى مبتغاه عن طريق إنشاء صحافة تعبر عن همومه وآلامه وآمال كل المسلمين.

هذا مع تركيز أبو اليقظان في صحفه على بعض القضايا الاقتصادية التي تخدم منطقته في القرارة أو تخدم الاقتصاد الوطني عموما منها كلامه عن الزراعة وعن بعض الأنشطة والحرف والتجارة، وهذا ما يزيد من شمولية شخصيته التي لم تقتصر على الجانب الصحفي فقط.

وعند وفاته ترك رصيدا مهما من الكتب والمؤلفات التي أثرت مكتبة عائلته والتي حتما ستخدم كل الباحثين في قضايا مختلفة، وتزيد وتتسع دائرة الاستفادة منها لو تدخل هذه الصحف والمؤلفات دائرة الطبع لتعميم الفائدة.

وبهذا أصبح أبا اليقظان شخصية متعددة الجوانب والمواهب وسخر كل وقته وماله وجهده من أجل بناء هذا الوطن وربط أواصر التواصل له مع جسده الكبير في المشرق العربي انطلاقا من قناعته بضرورة الاهتمام بأمور المسلمين.